

## مقاربة مسيحية للأزمات، الجزء الأول

مقابلة مع صاحب السيادة الميتروبوليت سابا (اسبر)

**سؤال:** يتكلم الإعلام دوماً عن الأزمات. هل من تعريف أو مفهوم مسيحي للأزمة؟

**جواب:** تدلّ لفظة "الأزمة" على وجود شيء ما غير سويّ وغير طبيعيّ. طبعاً تختلف الأزمات باختلاف المشاكل التي تُنتج هذه الأزمة أو تلك. تراكم هذه المشاكل يشكّل أزمة. والأزمة أخطر من المشكلة، لأنّ تراكم المشاكل هو الذي يجعل الإنسان في حالة أزمة ممّا يفقده تركيزه ويشتت ذهنه، فلا يعود قادراً على التعاطي السليم مع مشاكله. لذلك أقول إنّ الأزمة هي تراكم للمشاكل. مسيحياً، ومن المنطلق الروحي، الأزمات علامة على وجود الخطيئة في هذا العالم.

**س:** مسيحياً، هل الإنسان في الأزمات مسيّر أم مخيّر؟

**ج:** يحتاج هذا السؤال إلى حلقة مخصصة لنستوفي الجواب عليه. لكن بإيجاز شديد، نحن لا نؤمن بأنّ الإنسان مُسيّر، لأنّ الله أعطانا الحرّية، وفي الوقت ذاته سوف يديننا في اليوم الأخير. فإذا كنّا مُسيّرين لماذا يديننا وعلى أيّ أساس؟ إذا كان قد رسم لنا كلّ شيء مسبقاً فلا لزوم عندها للدينونة.

**س:** بما أنّنا نؤمن، مسيحياً، بأنّ الأزمات هي نتاج لخياراتنا الخاطئة، فكيف للإنسان أن يتجنّب هذا النوع من الخيارات ويعرف مشيئة الله في حياته؟

**ج:** في الحقيقة، يُعتبر هذا الموضوع من أصعب المواضيع وأدقّها، ويحتاج إلى البصيرة الروحيّة. ثمّة كلمة جميلة في أحد النصوص الإنجيليّة، حيث يطلب المسيح، قبيل الآلام، من التلاميذ أن يسهروا معه (متى ٢٦: ٣٨). عاد إليهم من بعد صلواته فوجدهم وقد غلبهم النوم ولم يستطيعوا أن يسهروا معه، فقال لهم: "اسهروا". يفسّر آباء الكنيسة هذه اللفظة بـ "اليقظة". من المهمّ أن يدرّب الإنسان المسيحيّ نفسه على أن يكون يقظاً روحياً، أي أن يكون متحسّساً بسرعة لمشيئة الله ولكلمته ولأيّ حركة تطرأ عليه. يقول الربّ: "الروح نشيط، وأمّا الجسد فضعيف" (متى ٢٦: ٤١).

عندما يكون الإنسان يقظاً وبصيرته الروحية حادة يستطيع أن يميّز بين الأمور، ويستطيع أن يدرك الشرّ في هذا والشرّ الأقلّ في ذاك من الأحداث، وهكذا... يعلمنا آباء الكنيسة الروحيّون أو اليقظون بأنّ فضيلة التمييز هي الأهمّ بين الفضائل. أن أُميّز يعني أن أعرف مشيئة الله أو المرضي لمشيئته.

س: نصليّ في الصلاة الربانيّة: "ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير." ما هي أهميّة هذه الطلبة من الربّ؟

ج: علينا بداية أن نعرف معناها، فليس المعنى الحرفي هو المقصود: أيّ ألا ندخل في أيّ تجربة. فهكذا أمر لا يمكن أن يتحقّق على الأرض. كذلك للتجربة وجه إيجابيّ، فهي تقويّ وتشدّد وتزيد الإنسان وعياً. فمرّات كثيرة يكون الإنسان ضائعاً وطائشاً إلى حدّ كبير، فتأتيه التجربة بمثابة صفة قوية ليستفيق من سباته ويعود إلى رشده.

المقصود بهذه الطلبة ألا تكون التجربة أكثر من قدرتنا على التحمّل، لأنّ الشرير واسع الحيلة، يأخذنا بحيل كثيرة، فنطلب ألا تكون التجربة أقسى- ممّا نحتمل. في الواقع، يختبر معظم المؤمنين أنّ الله لا يسمح بتجربة تفوق طاقتنا.

س: يقول الكتاب المقدّس في رسالة يعقوب، في الآية الثانية (٢: ١-٣): "يا إخوتي، عندما تنزل بكم التجارب والمحن المختلفة، اعتبروها سبيلاً إلى الفرح الكلّي. وكونوا على ثقة بأنّ امتحان إيمانكم هذا يُنتج صبراً". كيف يمكن للمسيحي أن يحيا الأزمة فَرِحاً؟

ج: سأعطيكم مثلاً كنت قد قرأت عنه مؤخراً. إنّهُ مثالٌ معاصرٌ، لن أخبركم عن أحداث قديمة أو من التراث. وُجد راهب أنغليكاني من نيوزيلاندا اسمه مايكل لابسلي في جنوب إفريقيا، في زمن نظام التمييز العنصري (الأبارتيد) بين السود والبيض. قاوم هذا الراهب، بدافع من إيمانه، نظام التمييز العنصري الوحشي- - طبعاً مقاومة لا عنفيّة كونه مسيحياً وراهباً. انتشر- تأثيره وتوسّع، فأبعدته السلطة من جنوب إفريقيا، لكنّه تابع نضاله من منفاه. لم يتركوه بل أرسلوا له مغلّفاً مفخّخاً انفجر فيه، ففقد ذراعيه وعيناً واحدة، وبالطبع دخل عدد هائل من الشظايا في

جسده. بقي في المستشفى سبعة شهور متواصلة، ومن ثمّ تابع علاجاً طويلاً على مدّة سنتين، كي يتدرّب على كيفة تسيير حياته الجديدة. تابع نضاله على الرغم من وضعه الجديد.

عندما انتهى نظام التمييز العنصري عاد إلى جنوب إفريقيا وبدأ بتأسيس مراكز لشفاء الذكريات حتّى يجمع البيض والسود سوياً، حيث كانوا يبوحون بآلامهم وأخطائهم تجاه بعضهم بعضاً، وهذا سبيل إلى الشفاء عبر الغفران والتحرّر من الماضي البشع. تابع نشاطه هذا دونما توقّف. يقول عن نفسه: "كان هذا الاختبار [التفجير] بمثابة تنقية حقيقية لذاتي". كما يقول أيضاً: "كنت أقاوم التمييز العنصري والتفرقة بين السود والبيض بعناد شديد وصلابة عنيدة، أمّا بعد الحادث، فبدأت أشعر بمدى اللين في داخلي، وبمدى تفهّمي للضحية وللجلاد معاً، كي يستخدمني الله في تأسيس هذه المراكز". هذا هو المقصود بأنّ يحوّل الانسان المسيحيّ الألم إلى فرح وقدرة جديدة.

س: هل تعطينا أمثلة من الكتاب المقدس، أمثلة من القديسين الذين تعرّضوا لأزمات وآلام؟

ج: لدينا أمثلة كثيرة. المثل الأوضح والأشهر الذي يعرفه الجميع هو أيوب الصديق. كم عانى مادياً وجسدياً وعاطفياً لقد فقد كلّ أولاده. وفي النهاية بقي السؤال لماذا أنا؟ لكنّه اكتشف غنى لم يكن يعيه قبلاً. أذكر مثلاً واحداً عنه: ففي أحد الإصحاحات، يعاتب أيوب الربّ على الألم الذي يعانيه، فيقول إنّ الذين لم أكن أقبل أن يجلسوا مع كلاب غنمي قد صاروا اليوم أفضل منّي (٣٠: ١). هذا يعني أنّه كان قبل بليته مترقّعاً وأرستقراطياً مغروراً.

بولس الرسول مثال آخر. بعدما اهتدى إلى المسيح، كم عانى في حياته من أخطار وأتعاب وسجن وغرق سفينة وتخفّف عن شعبه خوفاً من القتل، واعتبره كلّ نفايةً كي يربح المسيح (٢ كور ١١: ٢٥-٣٣). الكتاب المقدس مليء بهذه الأمثلة الحيّة، إنّها في النهاية يعكس صورة البشر وما نعيشه حقيقة.

المقابلة تمت مع راديو (كيفو) الإذاعة الرسمية للكنيسة السريانية.